عادات وتقاليد

من المحرر

باسم عبد الحميد حمودي

يزخر الوطن العراقي بكل اثنياته القومية وطوائفه بذخيرة حية متوارثة من العادات والتقاليد والاعراف المتداخلة التي يعني تداخل طقوسها امتزاج اجزاء المجتمع العراقي رغم احتفاظ كل جزء بخصوصيته في هذا الجانب أو ذاك.
ان اعراف الخطبة والزواج تكاد تتشابه في تفاصيلها الا في شعيرات محددة، فالماء يرش على عتبة غرفة العروس (الا في مناطق البداوة) عند دخولها الاول والدبكات تتصاعد في موكب العرس الا ماتغير منها وفق منطق العصر، وموكب الزفاف الذي كان يتم مشيا على الاقدام في الكرخ والرصافة حيث يمشي العريس وسط سرد وجيه واصدقائه ليتحول الى موكب على الخيل في ارياف كردستان وفي قرى الجنوب ثم يتغير الى موكب بالسيارات حسب منطق العصر وتغيراته.
كما ان افكار الفأل والطيرة من حبسة العروس وربط العريس لاتزال تأخذ مفعولها في المجتمع رغم أدعاء كثيرين بعدم جدوى ذلك، كما ان الاستعدادات لاحتفالات الاعياد التي تتم يوم (عرفات) موجودة لدى كل الطوائف رغم انحسار ظل (الكسلة) التي كانت تعني اليوم التالي من نهاية العيد.
ان تدوينا متقنا لكل هذه الاعراف والتقاليد والمعتقدات ومصطلحاتها والتغيرات الحاصلة على صورها العامة يعد امراً ضرورياً للمهتمين في الشأن الفولكلوري ذلك إن ذلك يعد من الاسباب الاساسية لحفظ جزء من ذخيرة المجتمع العراقي الشعبية الموحد بأذن الله.

عكد المفتي .. ذاكرة لا تشيخ

سعد الحداد

(٢-٢)

محمد مهدي البصير

مما يروى عن الدكتور محمد مهدي البصير انه كان عندما يمر في هذا الزقاق ليصل إلى بيته في محلة الطاق او وهو ذاهب إلى السوق الكبير يتوقف عند حفرة في الزقاق ليتجنب السقوط فيها، وهذا دليل نباهته وفطنته إذ كان يعد خطواته كما يقال عند مروره بزقاق او سوق، فهو يعرف كل شيء ولا ينسى.

تظاهرة ضد الحكومة

من الحوادث التاريخية في هذا الزقاق ما ينقله الباحث السيد عامر تاج الدين فيقول: في ١٥/ ٤/ ١٩٣١ شهد هذا الزقاق حادثة غريبة وذلك حين أمر الملك فيصل الأول باطلاق سراح المسجونين السياسيين من حزب الاخاء الوطني وعلى راسهم المحامي والشاعر الحلي محمد الباقر الحلي حدث ان امتلأ الزقاق بالمنتمين إلى الحزب وهتفوا بسقوط المعاهدة العراقية . البريطانية وتألفت آنذاك تظاهرة قدرت بمئات الاشخاص الذين انطلقوا من هذا الزقاق وهم يزفون المسجونين من القشلة العسكرية حتى شارع المكتبات ثم العودة إلى الزقاق حيث مقر الحزب وهناك القيت كلمات ارتجالية من قبل معتمد الحزب (السيد محمد الباقر الحلي)، وقد ترجم له صاحب كتاب موسوعة اعلام الحلة فقال:
هو السيد محمد بن باقر بن ناصر العالم الحسيني الحلي ولد سنة ١٩٨٤ م وتوفي سنة ١٩٧١م وهو شخصية أدبية سياسية مرموقة وشاعر من شعراء ثورة العشرين وخطيب وداعية للجهاد والثورة ضد الاحتلال الانكليزي، وكان قد سجن من قبل البريطانيين مرتين، وكان له تأثير واسع في مشايخ الفرات الاوسط لحرب الانكليز.. أكمل الحقوق سنة ١٩٢٥م ومارس المحاماة.. انتخب عضوا في مجلس النواب العراقي بين سنتي ١٩٣٩ . ١٩٤٣م وقد عمل في الصحافة فأصدر جريدة الأديب، وهو أخو العالم الآثاري الراحل طه باقر.

ظرفاء وعادات شعبية

وفي هذا الزقاق اسماء لا يمكن حصرها ابدا بسبب تقادم السنين وكلما سألت احداً من كبار السن اجمعوا على شخصيات دون أخرى ما يعني ان البقاء لمن كان قد ترك اثرا او ذكراً طيباً في نفوس الناس او لمن ظلت الالسن تتناقله جيلا بعد جيل لصفة اتصف بها او موقف سجله في حياته.. ومن اولئك الاشخاص الذين ما زال ذكرهم يتردد (لطيف الشريفي). كان هذا الرجل ظريفاً.. صاحب نكتة وطرفة.. خفيف الروح محبوباً من قبل الناس وموظفي الحكومة ومتصرف الحلة، توفي في الستينيات، ومن اخوته الحاج سعيد والحاج ناجي الشريفي.
وكنا هناك شاب منطو على نفسه يقوم باعمال التحضيرات الكيميائية في بيته لا يتصل باحد يدعى (رزوقي الرحومي) ورد الحلة مع أخته (الملة فطيمة) من مدينة الشطرة وسكنا هذا الزقاق.. وكان الاطفال يرددون خلفه حين يرونه (رزوقي الوص.. حفنة بطبسة جص).
حين كنا صغاراً كان منظر بعض النسوة من كبيرات السن وهن يتخذن من مداخل الازقة الضيقة مجلسا لهن، او من احدى (دكات) البيوت الكبيرة مكاناً يقضين فيه بعض الوقت عند (العصر) تحديداً يتحدثن بما يحلو لهن من حديث وهن بين مطرزة لعباءة او ثوب او غازلة تمسك بكلتا يديها مغزلاً خشبياً يتراقص في الهواء ينتج خيوطاً ناعمة جميلة..
ومن عادات تلك النسوة اذا مر احد الرجال الغرباء يمسكن عن الكلام ولا يتفوهن بأي كلمة ويشحن بوجوهن عنه.. واذا سمعن صوت احد رجال الزقاق قد اقبل من بعيد للمن ما في احضانهن وهرعن مسرعات إلى داخل الزقاق او داخل بيوتهن، فقد حان أوان عودة الآباء إلى بيوتهم. فهنا مجلس الحاجة (أم...) التي تلفعت بعباءتها وهي ترقب المارة من خلف نظارتها السميكة: تصرخ منادية اطفال الزقاق ان يكفوا عن اللعب ويدخلوا البيوت فقد حان اذان المغرب.. وتلك الحاجة (أم ...) وقد تجمهرت حولها مجموعة من الصبية يسمعون أقاصيص عجيبة وغريبة عن السعلاة والطنطل وجحا وغيرها أو قد تقص عليهم قصص الانبياء او الاولياء الصالحين..

الألعاب الشعبية

اما ألعاب الاطفال فهي مما تعارف عليها ابناء الحلة في كل محلاتها مثل العاب (الجعاب) و(الكلكلي) و(الدعبل) و (الصكلة) و(جر الحبل) و(طم خريزة) و (التوكي) وغيرها الكثير من الالعاب البسيطة التي تدخل المسرة إلى قلوب الاطفال من بنين وبنات.. ولم نعد نرى اليوم في تلك الازقة إلا القليل القليل من تلك الالعاب التي يتمنى بعضنا اليوم لو عاد إلى ايام طفولته ليعيشها بكل سعادتها وبراءتها فيستعيد عافيته بعيداً عن هموم هذا الزمن المثقل باحدث وسائل الترفيه واجهزة اللعب المتطورة المتزايدة في مشاكلها ومتاعبها.

اسماء وأسماء

في الفرع المجاور للشيخ ابن العرندس كان بيت الحاج عبد الحسين عبد الرضا بقلي الصفار والد فاضل (وهو خياط معروف توفي في العام الماضي) وهادي ونبغ فيهم الشاعر الشعبي هادي الصفار وشعره يردد في المجالس الحسينية على السنة الرواديد في الحلة ومقابل المرقد كانت دار الحاج علوان علوش وهي دار كبيرة تسكنها عوائل أولاده مجيد وسعيد ورشيد ولمجيد ولدان هما مهدي ورؤوف.. ولسعيد فيصل وكان بزازاً.
ومن سكنة هذا الزقاق المشهورين بيت الحاج سعيد الحاج يوسف. كان هذا الرجل روزخونا وقد عمر ١٠٧ أعوام وأولاده هادي وكاظم وخلف وباقر وعبد الله، كان مرحاً، فكها، يقرض الشعر وكان يقرأ المقدمات قبل الشيخ الشهيب في بيت السيد جعفر القزويني أيام عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى، توفي سنة ١٩٩٠ ,
وهناك بيت فاخر عوض الحلي وهو والد اللواء العسكري المعروف ناصر عوض. ومن سكنة هذا الزقاق عبد الرضا وناس وهو (صانع مفاتيح) من ابنائه المصور الفوتوغرافي المعروف (حيدر) وعلى ومحمد.

شيوعيون

وهناك بيت سيد محمد رمضان وهو من الملاكين ومن أولاده ثامر الذي اتخذ من ألمانيا سكنا له منذ عدة عقود وهو من الشيوعيين المعروفين آنذاك.
ومن الشيوعيين في هذا الزقاق ستار مهدي المعروف بـ(ستار الاعرج) وكان من الملاك المتقدم في الحزب الشيوعي، ورزوقي الشمعوني الذي قتله ناجي الدليمي، كذلك شهيد الخوجة نعمة وقد قتل سنة ١٩٦٣ على يد الحرس القومي .ومن العناصر الشيوعية ايضاً هادي الطخة ورزاق وتوت وكان الاخير رئيس نقابة العمال في معمل المشروبات الغازية في الحلة.
وقد حدثني الشيخ باقر الشيخ سعيد (٧٦ سنة) فقال: كان في مدخل الزقاق من جهة الشارع العام دار حاكم الحلة المحامي أبو صبري مصلح الدين الصالح وبيت الطحان والد محمد علي وباقر، ومن أوائل من سكن هنا من العوائل بيت علي الحسون الجريان وولده رزوقي وعباس وكان الأول من الملاكين والثاني موظفاً حكومياً، وبيت الحاج شندل العطار وبيت الحاج أبو فاضل محمد المرزوك وهو صاحب مسبك وبيت الحاج محمد علي بيعي وهو صاحب مسبك ايضاً وبيت هادي السقه وكان تاجر اطعمة.
وفي الفرع القريب من مرقد ابن العرندس كان بيت الحاج حسن السبتي وهو بزاز مشهور يجاوره بيت الحاج مجيد السبتي وحفظي السبتي والد الصيدلاني رؤوف والدكتور حليم السبتي، وبالقرب منهم بيت آل معروف ومنهم الشاعر المرحوم فرهود المعروف.
وقد سكنت عدة عوائل غير حلية في هذا الزقاق اشتهرت بين الأهلي بالقاب معينة مثل بيت (هبن بشن) وكانوا قد انحدروا من الشطرة وبيت العنبكي وقد وفدوا الحلة من ديالى.
ومن الاسماء المعروفة في عكد المفتي السيد فضل النجار والد المرحوم احمد وميثم واخوه ياس وما زالوا يسكنون فيه حتى اليوم، ومحمد القريشي النجار (أبو باقر) وحسن جودي وهو اشهر ختان اطفال في الحلة (مطهرجي) ومكي بيعي وخزعل الشريفي الذي كان مراقباً مشهوراً معروفاً في بلدية الحلة وبيت السيد حمد وتوت وهو عطار معروف ومحله في سوق الخفافين ومن أولاده جعفر وكريم عالم الآثار والتاريخ .
ويشب في هذا الزقاق فتى كان له شأن وعلو قدر في الحضارة والتاريخ واللغات.. رضع من ثدي هذا الزقاق العلم وزقه زقاً في عائلة (آل عزام) التي انجبت الكثير على شاكلته وما زال ابناؤها يتوارثون العلم والأدب.
أراد الفتى ان يقول ان الانسان يجب ان ينقب حتى يصل إلى الحقيقة.. فكان له ما أراد.. هذا الفتى تعلم على الطريقة القديمة النحو والصرف ثم اتم تعليمه في المدارس الحكومية حتى تخرج في الثانوية سنة ١٩٣٢م وكان رابعاً على العراق. واصل دراسته ضمن بعثة علمية فحصل على شهادة الماجستير من جامعة شيكاغو الامريكية سنة ١٩٣٨م ثم عاد إلى بلده ليكون لها ابنا بارا فتنقل في دوائر الدولة بين خبير فني في الآثار ومدير عام للآثار ومستشار آثاري واستاذ جامعي .كان لهذا الرجل فضل كبير في المجال الآثاري ليس في العراق وحده، بل حتى في الدول العربية مثل ليبيا التي ترأس عدداً من هيئات التنقيب فيها والمغرب التي انشأ فيها داراً للمعلمين.. وكان مؤسساً لمجلة (سومر) ورئيساً لتحريرها.. وكان عضوا عاملاً في المجمع العلمي العراقي وأصبح النائب الأول لسنوات عديدة في المجمع.
هذا الرجل كان يتقن عدة لغات قديمة وحية كالانكليزية والالمانية والفرنسية، وله مؤلفات فيها..
ولجهوده المتميزة في الآثار والتاريخ قلد وساماً رفيعاً من الحكومة العراقية فضلاً عن العديد من الجوائز والشهادات التقديرية وحيته دائرة الآثار العراقية بقرص خاص من النحاس نقرت فيه صورته.
أنه عالم الآثار والتاريخ الأستاذ المرحوم (طه باقر) الذي ألفت فيه كتب خاصة منها (طه باقر . حياته وآثاره للدكتور فوزي رشيد) و (طه باقر الذي عرف كل شيء) للدكتور صباح نوري المرزوك.
اما مؤلفاته المطبوعة فهي متنوعة وكثيرة منها: المرشد إلى مواطن الآثار (٦ أجزاء) مع فؤاد سفر، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، عقرقوف، قانون عشتار وقانون مملكة اشنونا، مقدمة في أدب العراق القديم، مقدمة في تاريخ الحضارات (في جزءين)، ملحمة كلكامش، من تراثنا اللغوي وما يسمى في العربية الدخيل، ومن ترجماته: الانسان في فجر حياته، تاريخ ايران القديم، تاريخ العراق القديم، تاريخ العلم، تل حرمل، الرافدان، من الواح سومر. وغيرها كثير بلغات مختلفة وعشرات المقالات والبحوث والدراسات.
توفي العالم الآثاري الحلي في بغداد سنة ١٩٨٤ ,

الناقد الطاهر

وفي هذا الزقاق نبغ واحد من ابنائه الذين شبوا على حب العلم والمعرفة كان والده يمتهن بيع (التتن) لكنه لم يرث مهنة ابيه فلجأ إلى التعليم بعد ان تخرج في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٥ ولحبه الشديد للأدب وتأثره بمجد مدينته وما خلفه الاسلاف من تراث عظيم في الشعر والعلم واصل دراسته العليا في القاهرة وباريس ليحصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٥٢ فيعود مدرساً في دار المعلمين ثم جامعة بغداد.
كان اسمه وما زال يتلألأ مشرقاً بين الاسماء الكبيرة في عالم النقد والبحث الأدبي والتحقيق.. هو الدكتور علي جواد علي طاهر حميد شهيد شبيب آل كروش الاكرع الذي ولد في عكد المفتي سنة ١٩١٩ م وتوفي في بغداد في الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٩٦ , كان هذا العالم شعلة متوقدة من الخلق والأدب حتى عرف عنه انه لا يذيل أي موضوع يكتبه لمجلة او جريدة بالدال التي تتقدم اسمه تواضعاً منه..
خدم هذا الرجل الادب العربي ليس في العراق حسب، بل اينما حل في أرض العرب. ففي السعودية التي انتدب للتدريس في جامعتها بين سنة ١٩٦٣ . ١٩٦٨م ألف لهم معجم المطبوعات العربية وكانوا يفتقرون إلى مثل هذا المنجز الكبيير وظل متواصلاً في عطائه على صفحات المجلات الخليجية يحقق تراث تلك البلدان فانجز كتابه المعروف (الكتاب الأدبي في الخليج العربي) وعشرات الدراسات والبحوث وأغلبها منشور في مجلة العرب السعودية التي كان يراس تحريرها المرحوم حمد الجاسر.
والطاهر علم من أين أتيته وجدته ممتلئاً ففي القصة ونقدها له باع طويل بين ترجمة ونقد وتأليف اذ قدم لجمهورها كتباً مهمة أشهرها (محمود احمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق) وكتابه (من حديث القصة والمسرحية) وكتابه (في القصص العراقي) وكتابه النقدي (في الريادة الفنية للقصص العراقي) و(أقاصيص مترجمة) وترجم لنا (الابن وسبع قصص أخرى).. اما في مجال الشعر فكانت للطاهر ومضات أخرى مضيئة حين اصدر محققاً ديوان الجعفري وديوان الجواهري بالاشتراك مع آخرين بعدة اجزاء وألف كتابه الشهير الطغرائي . حياته وشعره ولاميته، وأبو يعقوب الخريمي . حياته وشعره، وكتاب الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي..
وفي نقد الشعر كانت له كتب معروفة منها كتاب من يفرك الصدأ، أو حسين مردان، وفي التحقيق ونقده حقق وألف كتباً كثيرة منها تحقيقات وتعليقات ولامية الطغرائي وكتاب ملاحظات على وفيات الاعيان وكتاب فوات المحققين وكتاب فوات المؤلفين ومقدمة منهج البحث الأدبي وكتاب منهج البحث في المثل السائر ونشر الشعر وتحقيقه في العراق وفي النقد كتبا عديدة اشهرها وراء الافق الادبي وكتاب مقدمة في النقد الأدبي والخلاصة في مذاهب الأدب الغربي وكتاب ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة وكتاب في النقد الادبي والتربية.. وفي السيرة والذكريات والأدب وغيره ألف كتباً عرفت عنه بجمال سردها واناقة لغتها منها استاذي ومقالات اخرى وكتاب س.ج والباب الضيق.
هذا غيض من فيض الطاهر الذي ظل وفياً لمدينته وزقاقه الذي أبصر فيه النور ونطق أول حروف العربية التي ظل شغوفاً في جمالها وسحر بلاغتها الوضاء.

ذاكرة مكان

البصرة "جسر الغربان"

داود الربيعي

حكاية جسر الغربان لم تنته بما آلت إليه مصيبة أم ظافر ولا من الفتيان الذين ماتوا غرقا، وسطر اختفاؤهم في غياهب الجسر وما حوله خرافات ما برحت تدور بأذهاننا، خرافة السعلوات والشياطين والأبالسة متلبسين بعبد الشط وانسياب المياه والجنيات اللواتي يطاردن الصغار بمرح امومي لتنتهي مراوغتهن بالضياع الأبدي، اغلبها كانت وقت الغروب، حينما يعود الحمالون وعمال القطعة في هذا الوقت بالذات وهم يتأبطون اكياساً مملوءة بالقمح والذرة من بقايا السحالة المتناثرة ارضاً او فوق سطوح القاطرات.
كأننا ولدنا مع ولادة الجسر وترعرعنا نحن صبية الاحياء التي معظم أزقتها تنحدر نحوه في ازقة ملتوية وعبر بيوت واجهاتها من الخشب المزخرف، بيد اننا ندرك ان انهارنا الاخرى الملتفة مع الاحياء والبساتين تسند عبورها القناطر المسنودة من جذع او جذعين من شجر النخيل لعبور المشاة. لكن هذا الجسر الذي أوجدته الضرورة لوجود سكة القطار، آخر المحطات التي ترتكن حيث معمل المسامير الوحيد، المنزوي في ظلال بعض البساتين عند اطراف كوت الحجاج لم تهدأ ولو لحظة واحدة طيور الغربان السود ولا الزرازير او طيور الفواخت ان تهوى دفعة واحدة حينما يستكين المكان مع اقدام المشاة العائدين والقادمين حول القاطرات او بمحاذاته، او في عموم الطريق الملتوي لالتقاط حبات الذرة، ولتأخذ مديات العد بسبب ان السيارات والعربات المحملة بالحبوب كان الجسر منفذها الوحيد.
وبالرغم من ان الجسر هو منفذنا إلى مآربنا التي لا تبعد عنه سوى بضعة امتار، منها الساحة المتروكة خلف احدى المدارس القديمة ساحة جرداء لم يكن فيها سوى شجرة السدر تقبع خلف طوفين من الطين تتراءى من خلالهما اشجار النخيل الباسقة، كنا نلهو مخلفين آثار اقدامنا الحافية، عائدين تجاه الجسر لنرى انفسنا مع اقراننا الذين ظلوا هناك يتبارون بالغطس إلى قاع مياه النهر، او الدوران حوله في العاب عادة ما تنتهي بالعوم.
يحمل الجسر في مواسم كثيرة احداثاً ومفاجآت لم تكن أولاها تكلم اللافتات التي تحمل الشعارات التي تتغنى بالثورات والانتفاضات كنا وقتها ندرك ان تلك الشعارات غالباً ما تكون ضد الحكومة او ضد الخصوم السياسيين.
لم تكن ثانوية فيصل الثاني بعيدة عن الجسر، كانت تختار فصولها السياسية حسب مقتضيات المراحل المتعاقبة التي حملت هي بالذات اكثر من اسم. تحول اسمها إلى ثانوية الوثبة ثم إلى اعدادية البصرة في مراحلها الاخيرة. حمل الجسر طلابها وهم يرومون الوصول إلى الشارع في تظاهراتهم الاجتماعية الصاخبة، حيث كان طلاب متوسطة غازي . النضال . فيما بعد ينتظرونهم، قاطعين الجسر كلما اقترب زملاؤهم عند الطريق المحاذي إلى النهر، كلما اخرجوا يافطاتهم المعادية هي الأخرى لتلتحم التظاهرة عند الشارع العام، هكذا بدايتها.
وثق الجسر جزءاً من تاريخه عبر احداث ومناسبات منها مأساة الحسين التي ظلت عالقة في الذاكرة، تتجدد في أيام عاشوراء أو زيارة الاربعين، ولعله يصحبنا قبل أيام الزيارة حينما تمر من خلاله قوافل المواكب الحسينية بانتظار رحلة القطار البطيئة التي تنطلق وسط الشعائر الحسينية لمجموع الشباب ورياتهم متعددة الألوان، في قاطرات طويلة، مترابطة. تحمل زوار ابي عبد الله الحسين في حلة مهيبة، حيث يوشح الجميع ثوب الحداد الاسود.
ويافطات علقت بين نوافذه تحمل عناوين . موكب ربيعة . موكب أولاد عامر . موكب الوحدة . ومواكب اخرى وشباب يرتدون الدشاديش السود المفتوحة من ظهورها وهم يضربون بالزناجيل في ابتهاج ممزوج بحزن ابدي، وقتها كان الجسر مكللاً باليافطات السود او مغشياً به في رحلة طويلة لحشود لا تنتهي لأيام عديدة عابرة الجسر، أما في المواسم الاخرى، موسم فصل الصيف، فقد كان يصطحبنا من يعرف متى تطفح مياه النهر لتصل إلى أعالى ركائز الجسر لتبتدئ سباحة الماهرين برمي اجسادهم من اعلى سياجه الحديدي، فيما يبقى بعضنا محاذياً للضفاف لا تغطي المياه سوى منتصف سيقانه. كلما خفت وطأة السير عبر الجسر ينده فينا مجسات الخوف المترامية وقت الاصيل بأصوات الفاخت بنبرات حزينة يزيد كاهلها صرير ضرب النواقيس من الكنائس القريبة التي لا يفصلها عن الجسر غير كم من البيوت وزقاق ضيق يحمل بعضاً من أرباب السوق وهم عائدون عابرين الجسر عبر طريق ملتو تدخل نهايته عمقاً في بساتينهم عند نهر آخر. لكن حينما ينكشف النهار، يتلألأ الجسر وكأن الذي يقبع اسفله قد ألتهمته نتوءات الصخور وسدت منافذها إلا من نقيق الضفادع والجرذان التي تعبر مياه النهر غطساً، مثل عبور الصغار الانيقين أبناء الميسورين في سيارة الباص، الحالمين نحن بركوبها تحملهم نحو مدرسة الرجاء العالي . فرع من مدرسة الامريكان . في الوقت نفسه تمر قافلة مأوى الايتام مترجلين عابرين الجسر نحو مدرسة النبراس التي تقبع بنايتها القديمة بمحاذاته ثم يعودون ادراجهم مشياً، على أية حال فان هذا الجسر يكون الطريق الاوحد الذي يأخذك الى عدة اتجاهات، في حينها لم يكن هناك سوى جسور خشبية بعضها يرتبط بالبيوت مباشرة لكن جسر الغربان يأخذك عبر الطرقات الملتوية باتجاه نظران او تلتوي الدرابين المحاذية إليه نحو الصبخة الكبيرة او يمتد شمالاً نحو كوت الحجاج وبساتينها التي ظلت عامرة لبدايات عقد السبعينيات من القرن الماضي.
فالقادمون من صبخة العرب باتجاه البساتين الملتفة مع التفاف الدروب الترابية يعبرون عبر طريق ضيق معبد يأخذك بمحاذاة النهر طاوياً عشرات البيوت الخربة منحدراً نحو الجسر الذي طيلة عمره المديد لم يعرف الطلاء، جسر منسي يقبع تحت ظلال البيوت الخشبية القديمة ينوء تحت صخب الصغار الملتفين حوله يرمون باجسادهم الصغيرة بمحاذاته او من فوق سياجه الحديدي الصدئ.
ويكاد الجرف . جرف الطين قد نحت نفسه المنزلق نحو مياه النهر في عدة انحدارات احدها اتخذته النساء سلماً يفضي إلى الماء لغرض غسل الثياب والأواني.. وقد كنا لا نفترق عن النساء وغسيلهن لاعتقادنا ان ما يغسل هنا هو غسيل اموات.. وكانت الصدف ان حمل النهر اثواب رجل متوفى وكان مصاباً بمرض فتاك . وظلت بعض ملابسه معلقة بشجيرات وغصون متدلية نحو ماء النهر.
لم يستهو الجسر الصيادين سوى بعض الهواة الذين يحملون صناراتهم قابعين عند حافاته وارجلهم متدلية من فتحاته العريضة او متكورين تحته او حوله اذا ما عجزت صناراتهم عن اصطياد سمكة. وعادة ما تمر بعض الزوارق الصغيرة متجهة نحو العشار في ممره المائي قاطعة الجسر، بعضها يحمل شباك صيد وقد رأى البعض ان نصب الشباك على حافتي الجسر قاطعاً مرور الاسماك وبهذا يعكر علينا نصب الشباك العابنا ومرحنا منشدين نحو عملهم وهم يتحركون خلف وفوق وبمحاذاته يعملون من دون كلل وكأنهم ينصبون شباكهم لاصطياد حوت!! كانوا اذا ما انتهوا من نصب شباكهم يتركونها هكذا لفترة مخلفين واحدا من اقرانهم لمراقبته خوفا من حركاتنا وطيشنا.
ظل هذا الجسر بركائزه العتيدة والممتدة أسفل النهر يندهنا مداخله السرية بجنياته وشياطينه وبقاعه الذي كنا نتصوره يمتد مع شعابه ونتوءاته والشقوق التي لا حدود لها وهي التي حملت جثمان بعض اقراننا بعيداً.. بعيداً. لم نكتشف صورة موتهم كون ان الجسر لم يكن مرتعاً لأولئك الغرقى وعلى ان المياه تحملهم بعيداً، كما ظلت صورة ظافر راسخة في أذهاننا لا تفارقنا لحظة واحدة. فهي التي وسمت في ذاكرتنا صيحات أمة ولوعاتها مع رجرجة المياه التي لم تنده ابنها الغريق ابدا من وقتها ظل سياج الجسر يفصلنا عن النهر في أغلب الاوقات.

مكتبة

تحليل التوافق الصوتي (هارموني)

تأليف: مارسيل دوبريه
ترجمة: الأب فيليب هيلاي

كتاب مهم لعميد كونسرفاتور باريس عام ١٩٧١ في مجال تعليم التراكيب الموسيقية التي يفتقر إليها الملحنون الموسيقيون في اثراء اعمالهم ذات الاصوات المتعددة.
بغداد . ٢٠٠١ (ط٢).

اضواء على تاريخ آلة الفلوت

تأليف: روب كنجستون

صدر هذا الكتاب بالانكليزية عام ٢٠٠٠ عن دار بنجوين ليعرض التاريخ الاساسي لهذه الآلة الموسيقية التي اكتشفت مثيلاتها في الصين في مقاطعة هينان وقد استخدمت منذ تسعة آلاف سنة ويتحدث المؤلف عن تطور الآلة على يد الالماني بويم ثم تجارب تصنيعها بعد ذلك.

سليمان القانوني

تأليف اندريه كلو
ترجمة: فالح حسن

دراسة في حياة السلطان القانوني وعصره ومعاركه تتضمن تفصيلات مثيرة عن الحريم السلطاني وكيفية اعداد الجيوش واسلحتها وتراتيبها وخصائص البلاط العثماني وصراعات المسرح الأوروبي آنذاك.
بيروت . ٢٠٠٤

ستديو ثقافة شعبية

هاشم محمد الرجب
عازف السنطور والمؤلف في تاريخ الموسيقى العراقية (ت ٢٠٠٣/١٢/١١)

سلة فضية مشغولة بـ١(المينا)